الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

تنظيم القاعدة بين عشوائية الفكر واعتلال المنهج

السادس من تشرين الثاني، ٢٠٠٩. الميجر نضال مالك حسن، المواطن الاميركي من اصل فلسطيني، يفتح النار في قاعدة فورت هود، بولاية تكساس، على زملائه من الجنود الذين يستعدون لنشرهم في افغانستان فيقتل ويصيب حوالي خمسين منهم قبل ان تنال منه الاطلاقات الدفاعية، وان لم تؤد الى قتله.

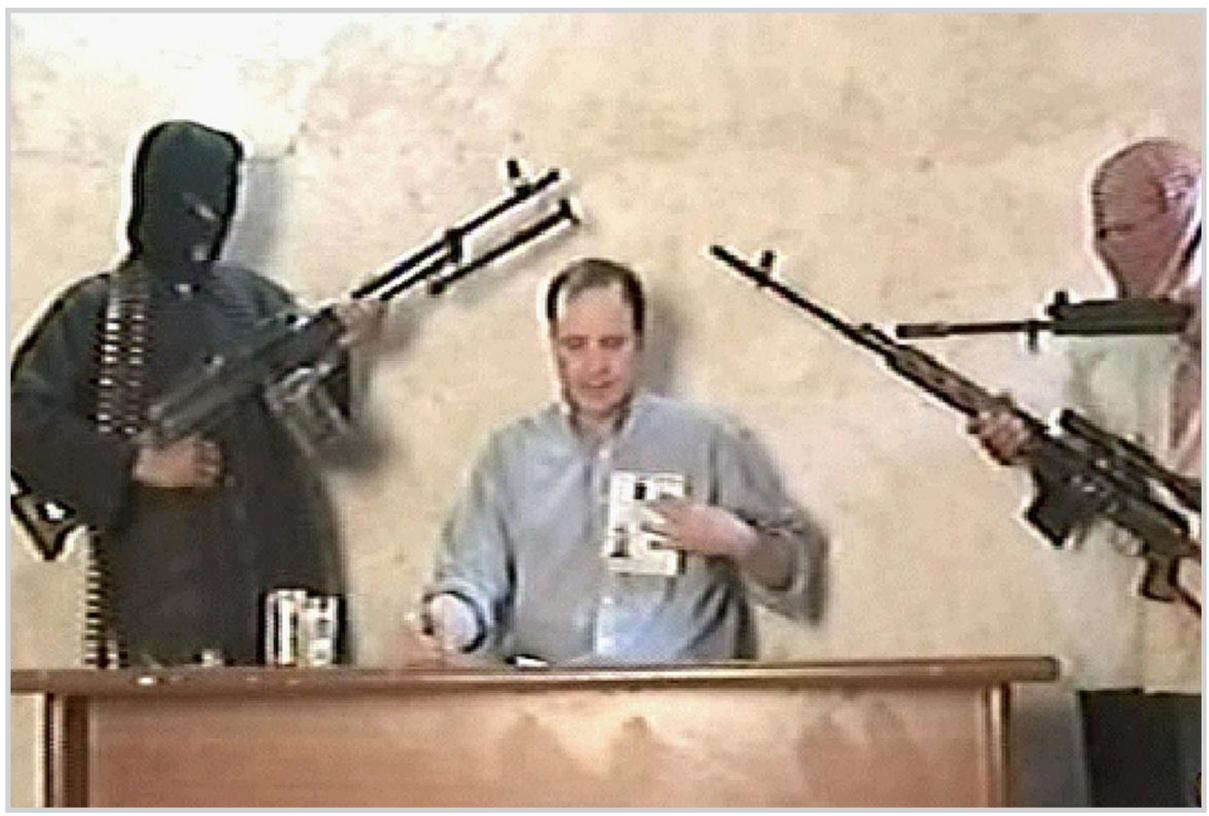

علاء خالد غزالة

الخامس والعشرين من كانون الثاني، ٢٠٠٦. يوم عيد الميلاد. المهندس الشاب عمر فاروق عبد المطلب، المواطن النيجيري الذي حصل على درجته الجامعية من بريطانيا، يحاول ان يفجر طائرة نورويست قبيل هبوطها في مطار ديترويت، لولا تدخل ركاب الطائرة ونجاحهم في منعه من اشعال صاعق القنبلة التي كان يحملها في ملابسه الداخلية.

الثلاثين من كانون الثاني، ٢٠٠٩. الطبيب هشام البلوي، المواطن الاردني المقيم في افغانستان يفجر نفسه وسط حشد من ضباط السي آي ايه فيقتل سبعة منهم بالاضافة الى ضابط مخابرات اردني من العائلة المالكة.

ثلاثة احداث وقعت خلال شهرين في ثلاث مناطق مختلفة، لكن يربطها جميعا رابط واحد: تنظيم القاعدة. وكما هو متوقع فان اسم القاعدة يرتبط بالتفجيرات والعنف والتحريض عليه، وباستحلال سفك الدماء تحت مبررات عديدة، بعضها مجرد استغراق في الاستعمال الى حد الاستهلاك.

غير ان من المؤكد ان لدى القاعدة اهدافا تتجاوز مبررات افعالها التي يقشعر لها البدن، ويندى لها الجبين. فماهي هذه الاهداف، وما هي الغاية التي تسعى القاعدة لتحقيقها بلا كلل ولاملل؟ هل هي لتحرير فلسطين من الاحتلال الاسرائيلي؟ ام من اجل تحرير العراق وافغانسان من الاحتلال الاميركي؟ هل تهدف القاعدة لتحرير المستضعفين من الظلم والعدوان، ام لاقامة كلمة الله على الارض؟ هل تريد القاعدة ان تحيي الدين الذي تؤمن به، ام انها تخلق دينا جديدا تفرضه على البشر اجمعين؟

بدءا، لا يمكن فهم فكر تنظيم القاعدة على نسق الاصول التقليدية للفكر الانساني. فاي محاولة لتطبيق الجدل المنطقي على ادبيات القاعدة، بالاضافة الى نشاطاتها العنيفة غالبا، لابد ان تبوء بالفشل، بسبب ابتعاد تلك الادبيات والنشاطات عن العرف السائد في طرح الفكرة ومناقشتها. فهذا التنظيم لا يلجأ الى طرح الحجج المنطقية واستخدوم اساليب الاقناع المتعارفة، بل يتمترس بقداسة النصوص السماوية، معتبرا الخوض فيها خروجا عن اصول الدين، وبالتالي يتوجب الاذعان بدون مناقشة او محاججة. وهو غالبا ما يعمم المخصص عند تناوله للنص المقدس. كما ان القاعدة كفكر كثيرا ما تخرج في ادبياتها من مقدمات هزيلة بنتائج يقينية، بدون الحاجة الى الفحص والبرهان. وهي لا تحض على التفكر والتأمل، بل على الثأر والانتقام.

لنعد الى الاحداث التي اشرت اليها في صدر هذا المقال، حيث ذكرت ان الرابط فيها هو تنظيم القاعدة. لكن ما يدعو الى التأمل هو قدرة القاعدة على تجنيد نخبة الناس من اجل تحقيق مكاسب آنية، تتمثل في ضرب اهداف عشوائية لا تخرج منها باكثر من تهليل اعلامي بين انصارها، بغض النظر عن الاستنكار الواسع النطاق لهذه الافعال بين ابناء دينها وقوميتها العربية في الاصل.

بل ان ما يدعو للعجب اكثر من ذلك عدم سعي القاعدة لاستثمار تلك النخبة من اجل اهداف ابعد مدى، تعود عليها بفائدة اكثر ديمومة. لكن قادة القاعدة لا يرومون، فيما يبدو، ان يحققوا غاية ما. فهم لايريدون ان يقيموا دولة تدعو لمفاهيمهم ومبادئهم. وهم فشلوا في الاحتفاظ بتلك الدولة حينما استطاعوا فعلا ان يقيموها في افغانستان. هذا الفشل لم يكن بسبب العدوان الاميركي- الاطلسي عليهم، بل بسبب تعديهم على هذا الحلف الذي لا يشق له غبار في سوح الحرب الكبرى. ربما نجحوا في قض مضاجع الاميركيين والغربيين في العراق وافغانستان والصومال واليمن، لكنهم لم يستطيعوا ابدا ان يغيروا مجرى الاحداث بما يحقق امانيهم، او ان يحولوا مسار التاريخ لتمجيدهم.

كنت قد كتبت مقالا بعد هجوم الميجر نضال في قاعدة فورت هود، نشر على صفحات (المدى)، حاولت فيه ان استكنه سبب الهجوم ودوافعه. وقد خرجت بنتيجة ان الهجوم لم يكن من تدبير القاعدة، وان كان بوحي منها. واستندت في ذلك الى انه لو كانت القاعدة جندت الضابط الاميركي لخدمتها، ما كانت لتتخلى عنه من اجل ضربة خاطفة، مهما تكن موجعة. فذلك الطبيب الاميركي كان سيرسل قريبا الى افغانسان، وبالتالي فسوف يكون مصدرا مهما للمعلومات بالنسبة للقاعدة، يغذيها بما يجنبها الضرر، وما يعود عليها بالنفع. لكني كنت حتى ذلك الوقت ارى ان لابد للقاعدة من فكر تنظيري، وان عسر على الفهم.

واليوم بت اعتقد انها خلو من مثل هذا المنهج الفكري. وانها لا تعدو ان تكون عودة بالدين الاسلامي الى عهد الجاهلية، الى الغزوات البدوية التي لا يبررها سوى الرغبة في التسلط والتسيد بقوة السلاح. يستقي هذا التنظيم افكاره المشتتة من احداث بعينها، ليبني عليها نظرية اصولية متطرفة، بل عنصرية شوفينية مقيتة لا ترى صلاحا في الاخر، تحل قتله بلا وازع من ضمير، او رادع من دين.

في اوائل فترة الغزو الاميركي للعراق، وقعت وثيقة موقعة من ابي مصعب الزرقاوي، قائد هذا التنظيم في فرعه بالعراق، بايدي المخابرات الاميركية. تحث هذه الوثيقة على قتل ابناء الطوائف العراقية من اجل خلق الفتنة بينهم، وجرهم الى حرب اهلية. ولو كان الهدف من ذلك الوصول بقادة القاعدة الى سدة الحكم في العراق لهان الأمر لقد خاب ظن الزرقاوي في كلا الامرين، وان نجح في زرع فتنة عصفت بالعراقيين عامين مريرين.

جندت القاعدة في العراق شيوخ قبائل واطراف القوم، ولو كان لها فكر لبيب لاحتفظت بهم. انقلبوا عليها بعد ان رأوا ظلمها ووحشيتها وتجردها من الانسانية، فضلا عن خلوها من الهدف والغاية التي تحرك افعالها. لا اعتقد ان مجالس الصحوة في غربي العراق ومناطق اخرى هي من شطحات افكار القادة الاميركيين، بل اكاد اجزم انها وليدة انقلاب حقيقي على الربيب الذي صار سيدا لا ينازع في ارضهم وبلدهم. هُزمت القاعدة في غرب العراق لانها لم تسعَ للنصر، بالحكمة القيادية والحنكة السياسية، بل بالتسلط والتزمت واستغلال الموارد المتاحة بنفس الطريقة التي كان الاستعمار يفعلها في غابر الزمان. تحرر غرب العراق من استعمار القاعدة بثورة شعبية، بعد ان خاب الظن بالمحتل، الذي تجسد له بصورة المخلّص.

الطبيب الاردني حمل معلومات قيمة للاستخبارات الاميركية والاردنية، على زعم ضباطهما. لاشك انه خدم القاعدة التي جندته من قبل اكثر من ذلك، من خلال صلاته بالاميركيين في افغانستان. لكن ذلك لم يمنع القاعدة من الاستمرار في العمل معه وتجنيده لعملية محدودة الاثر، وان كانت ذات تأثير نفسي ومعنوي كبيرين، وصدى اعلامي واسع النطاق. يصف زملاء عمر فاروق، الشاب الذي همّ بتفجير طائرة عيد الميلاد، بانه لماح ذكي. وهو يتحدر من اسرة ثرية وشغل ابوه مناصب مرموقة في بلده. اذا، لماذا لا تحاول القاعدة ان تستثمر هذه الامكانيات لخلق جديد من قادتها؟ لماذا لا يظهر دم جديد لقيادة القاعدة، قوامه اطباء ومهندسين وحملة شهادات جامعية، يمكن التنظيم من مواجهة تحديات العصر؟ لان قادتها لا يتخلون عن قيادتها حتى يقضي الله امرا كان مفعولا. انهم منشغلون في التخطيط للعملية تلو الاخرى بدون ان يكون لهم هدف من ذلك سوى رغبتهم الذاتية وشعورهم الآني بالعظمة. قد يفطن القاريء الى ان هذا هو بالضبط نهج الدكتاتورية، سوى ان تلك تهدف الى الابقاء على شخص الحاكم في سدة الحكم. وارى ان قادة القاعدة ينسبون لانفسهم وضعا حاكميا على اتباعهم في ارجاء المعمورة. هؤلاء الاتباع ليسوا شعبا، ولا يقطنون وطنا. انهم مريدون لفكرة تمخض عنها وضعهم البائس، عصفت بهم الازمات، والمت بهم المصائب، فلجأوا الى عصبة التطرف وظلمة الانغلاق. انهم اناس عاديون حولتهم العولمة، والثورة المعلوماتية الى جهابذة الفكر. بات حصولهم على ظاهر العلم سهلا يسيرا، فتخلوا عن اصولية المدرسة وتهذيب المعلم، فتحولوا الى اشباه مثقفين، يتخبطون في بحر من المعلومات المتاحة، بدون ان يكون لهم هدف من ذلك سوى رغبتهم الذاتية وشعورهم الآني بالعظمة. قد يفطن القاريء الى ان هذا هو بالضبط نهج الدكتاتورية، سوى ان تلك تهدف الى الابقاء على شخص الحاكم في سدة الحكم. وارى ان قادة القاعدة ينسبون لانفسهم وضعا حاكميا على اتباعهم في ارجاء المعمورة. هؤلاء الاتباع ليسوا شعبا، ولا يقطنون وطنا. انهم مريدون لفكرة تمخض عنها وضعهم البائس، عصفت بهم الازمات، والمت بهم المصائب، فلجأوا الى عصبة التطرف وظلمة الانغلاق. انهم اناس عاديون حولتهم العولمة، والثورة المعلوماتية الى جهابذة الفكر. بات حصولهم على ظاهر العلم سهلا يسيرا، فتخلوا عن اصولية المدرسة وتهذيب المعلم، فتحولوا الى اشباه مثقفين، يتخبطون في بحر من المعلومات المتاحة، بدون ان يكون لهم هدف من ذلك سوى رغبتهم الذاتية وشعورهم الآني بالعظمة. قد يفطن القاريء الى ان هذا هو بالضبط نهج الدكتاتورية، سوى ان تلك تهدف الى الابقاء على شخص الحاكم في سدة الحكم. وارى ان قادة القاعدة ينسبون لانفسهم وضعا حاكميا على اتباعهم في ارجاء المعمورة. هؤلاء الاتباع ليسوا شعبا، ولا يقطنون وطنا. انهم مريدون لفكرة تمخض عنها وضعهم البائس، عصفت بهم الازمات، والمت بهم المصائب، فلجأوا الى عصبة التطرف وظلمة الانغلاق. انهم اناس عاديون حولتهم العولمة، والثورة المعلوماتية الى جهابذة الفكر. بات حصولهم على ظاهر العلم سهلا يسيرا، فتخلوا عن اصولية المدرسة وتهذيب المعلم، فتحولوا الى اشباه مثقفين، يتخبطون في بحر من المعلومات المتاحة، بدون ان يكون لهم هدف من ذلك سوى رغبتهم الذاتية وشعورهم الآني بالعظمة. قد يفطن القاريء الى ان هذا هو بالضبط نهج الدكتاتورية، سوى ان تلك تهدف الى الابقاء على شخص الحاكم في سدة الحكم. وارى ان قادة القاعدة ينسبون لانفسهم وضعا حاكميا على اتباعهم في ارجاء المعمورة. هؤلاء الاتباع ليسوا شعبا، ولا يقطنون وطنا. انهم مريدون لفكرة تمخض عنها وضعهم البائس، عصفت بهم الازمات، والمت بهم المصائب، فلجأوا الى عصبة التطرف وظلمة الانغلاق. انهم اناس عاديون حولتهم العولمة، والثورة المعلوماتية الى جهابذة الفكر. بات حصولهم على ظاهر العلم سهلا يسيرا، فتخلوا عن اصولية المدرسة وتهذيب المعلم،

لا تفتأ القاعدة ومريدوها من دعوات القتل والسفك الجماعي للدماء، مهما كانت الضحية. ان كان قتلى خوست ضباط مخابرات من الاعداء، واذا كان جنود فورت هود محاربين محتملين، فمن هم ركاب طائرة الايرباص فوق ديترويت؟ ماذا جلب قتل ضباط المخابرات والجنود في المعسكر لعناصر القاعدة؟ المزيد من القوات. المزيد من القتال المنهك، الذي يأكل ضحايا من المدنيين الابرياء العزل اضعاف ما يفقده طرفي النزاع.

ليس للقاعدة من غاية. قادتها يئسوا من كرسي الحكم، فتسيدوا على رقاب آخرين جرفهم موج عارم الى ضفتهم فصاروا ثلة من الاتباع الذين "ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا." اوجدوا ملة تدعو للقتل على الشبهة، قبل ان تدعو للهداية. ذلك انهم لا منار لهم يهتدي به الناس. عصبة إئتلفت على البغضاء والحقد على الغير، لا على المودة والتراحم بينهم. حينما تخرج امرأة للتسوق في بغداد، او يدلف عابد الى مسجده في بيشاور، يسألون انفسهم أي الطرقات يسلكون حتى لا يتحولوا الى اشلاء في تفجير انتحاري تفخر القاعدة بحمله اليهم. كيف لهم ان يصبحوا انصارها ومواليها؟ ولمن تبث القاعدة رسالتها؟

لكن دعوتها في اتساع، واتباعها في ازدياد. انصار القاعدة ليسوا اناسا آمنوا بفكرها، بل هم افرادا مغرر بهم، بهرهم منهجها وبريق دعوتها في الخلاص عن طريق الموت استشهادا. قتل النفس المحرم في كل الشرائع السماوية اضحى اصلا في الدعوة السقيمة لهذا التنظم، ولجأ اليه من ضاقت به الارض وتقطعت به السبل. هؤلاء الاتباع اصبحوا امة تميز نفسها بالايمان وتصم ما سواها بالكفر والضلالة. عصبة القاعدة التفت في عصبية الجاهلية، تجمعها نزعة عنصرية ترى في نفسها تفوقا على الغير يؤهلها لسلب الحياة وتخريب الحرث والنسل. القاعدة حركة عنصرية. ليست عنصرية في دينها، او عرقها، او قوميتها. انها عنصرية في اعتقادها بان لا قيمة لكل من يخالفها، وعدم اكتراثها حتى لحاضنتها. ولهذا يجب ان يحظر فكر القاعدة عالميا، وان تمنع من استخدام الوسائل التقنية والاتصالات الحديثة في ايصال رسالتها الظلامية. يجب ان يُعد كل من يسوق لنهجها ويطبل لافكارها خارجا عن القانون.

قد تبدو دعوتي هذه ساذجة. لكني انما ادعو الى ضم الصفوف والمطالبة بموقف عالمي، عن طريق الامم المتحدة، اتجاه هذا التنظيم حتى يبين الخيط الابيض من الخيط الاسود. وان حدث يوما وصنفت القاعدة على انها ليست فقط تنظيم ارهابي، بل على انها حركة عنصرية، فعسى ان يكون ذلك رادعا لمن يدعو لها، ويجردها من ادعاء الشرعية كونها حامي حمى الدين الاسلامي. وحبذا لو تبنت البلدان العربية والاسلامية مثل هذه الدعوة، ليكون لها الصدارة في التصدي لتلك العصبة الفاسدة، ومحاربة نهج التسفيط والتكفير الذي تدعو اليه.

منظمات المجتمع المدني ودورها في إنعاش الأهوار العراقية

أيمن محمد نجيب

(إذا أردت أن ترى الجنة فهي موجودة هناك بين دجلة والفرات، كما أن بين النهرين عالماً جميلاً ورائعاً وأناسا طيبين). (كتاب العودة إلى الأهوار) لمؤلفه (كارفن يونغ).

تلك المقدمة قيلت بحق الأهوار العراقية، اللوحة الرائعة التي احتضنتها بلاد وادي الرافدين والتي ارتسمت في وجوه سكانها منذ اقدم العصور والازمان الحياة البدائية البسيطة والتي هي امتداد لاقدم واعرق الحضارات والسلالات التأريخية القديمة حيث اجتمعت فيها ميزات انفردت بها دون غيرها من مناطق العالم، عالم جميل وساحر يبهر ويسَر كل من يزورها ومن ينظر اليها، امتازت بجمال الطبيعة ومناظرها الخلابة الساحرة كونها أغرب بيئة مائية يعيش فيها الانسان والحيوان والنبات والطير والسمك سوية في وسط الماء في جو ساحر مستقل عن العالم. كما تعتبر أكبر محطة استراحة للطيور المهاجرة من سيبيريا وبعض الدول الافريقية، هذه البيئة الرائعة جعلت من الانسان في الاهوار أما شاعراً أو أديباً أو روائياً أو محباً للأدب بشكل عام.

ولكن مع الأسف تعرضت تلك اللوحة الجنوبية (الأهوار العراقية) إلى الاهمال وعدم الاهتمام والاكتراث بأهميتها وحاجة ساكنيها الى الخدمات الضرورية على طول فترات الحكومات المتعاقبة على العراق، وكان آخرها ما تعرضت اليه الاهوار العراقية لاكبر جريمة شهدها التاريخ إبان حكم النظام السابق الا وهي (جريمة تجفيف الأهوار) في التسعينيات من القرن الماضي كونها أستهدفت الانسان والحيوان والنبات معا.

ومن أجل النهوض بالواقع البيئي والخدمي والسكاني لتلك المناطق بعدما عانت ما عانته من ويلات الحرمان والتدهور المعيشي والغذائي والمائي والبيئي وبعد سقوط النظام السابق أخذت المساعي الدولية لإنعاش الأهوار العراقية بجدية وبرز دور المنظمات الدولية سواء التابعة للأمم المتحدة أو منظمات المجتمع المدني، حيث نفذت تلك المنظمات وبالتعاون مع الوزارات الحكومية ومنها وزارة الموارد المائية – مركز إنعاش الأهوار العراقية برنامجا الذي بدأ قبل ثلاث سنوات بأغمار مناطق الأهوار بالمياه وعودة النشاط الاحيائي فيها، فكان لها الدور الكبير في الإشراف والتنفيذ وتوفير الجانب الخدمي والبحثي لعودة هذه الأهوار بصورة كاملة وتشجيع مواطنيها للعودة إلى ديارهم وممارسة حياتهم الاعتيادية بعد أن حرموا منها، هذا بالاضافة إلى دور منظمات المجتمع المدني في وضع الدراسات الديموغرافية للسكان لمعرفة رأيهم ورغبتهم في العودة واحتياجاتهم الخدمية والإسراع بوضع الحلول الكفيلة بالتخلص من الآثار السلبية للجفاف وإعادة تغذية الأهوار بالمياه لغرض الحفاظ على ديمومتها واستعادة نظامها البيئي والصحي للانسان والحيوان والعمل على تطوير الثروة السمكية وتسخير موارد بيئة الأهوار لصالح الانسان من خلال خدمة الانسان للبيئة وتقديمها للمساعدات في الجوانب الصحية والتعليمية والخدمية، الامر الذي شكل نقطة تحول كبيرة في بيئة الأهوار وواقعها الحالي والذي ساعد سكانها إلى اعادة مزاولة نشاطاتهم في شتى الاختصاصات والاهتمامات.

ما نطمح له أن تتوسع هذه المنظمات وبالتعاون مع الجهات الحكومية ذات العلاقة على إنعاش الاهوار والعودة بها إلى التطبيق الواقعي لمقولة (كارفن يونغ) في مقولته أعلاه من أجل البدء بأعتمادها كمصدر مهم من مصادر الثروة الطبيعية التي يتمتع بها العراق ولتكون إضافة نوعية لدعم القطاع السياحي في البلد.

ليست الثقافة يا ....

فريدة النقاش

كلما وجهت لجنة اتفاقية إلغاء التمييز ضد المرأة سؤالا للوفد الحكومي المصري الأسبوع الماضي في جنيف حول أوضاع النساء كان الرد يأتي سريعا: إنها الثقافة. والثقافة هي الشماعة السهلة جدا التي يعلق عليها بعض السياسيين فشلهم حين يكونون في السلطة في تغيير الواقع إلي الأفضل ونقد المفاهيم القديمة والتقدم بشجاعة صوب إصلاح الفكر الديني وحين تتدهور قيم وتبرز أشكال سلوك معيبة، يتراجع التضامن بين الناس، وتنحدر العلاقات الاجتماعية إلي أسسها الأولية جدا، فتبرز الروح القبلية والعشائرية والمناطقية والأسرية لتحل محل الانتماء للوطن الواحد كما هو حادث في مصر الآن، وتدور صراعات مريرة بين القبائل والعشائر والأسر يسقط فيها قتلى وجرحى، وتتراكم المرارات والإحن والثارات التي تتوارثها الأجيال، ويسقط من جرائها الضحايا.

ولعل أخطر ما تحدثه هذه الانتماءات الأولية والبدائية إلي حد كبير هو التعتيم علي الصراع الاجتماعي وتحويله إلي قنوات فرعية، إذ ينقسم الصراع الاجتماعي إلي قسمين كبيرين علميا هما الصراع الطبقي والصراع الجنساني، ويدور الصراع الطبقي بين المالكين والكادحين، وهو في المجتمع الرأسمالي صراع بين الرأسماليين من جهة والطبقة العاملة وحلفائها من فلاحين وأجراء عامة من جهة أخرى.

أما الصراع الجنساني والذي يحلو للبعض – من باب الاختزال – أن يصوره خطأ كصراع بين الرجل والمرأة، فواقع الأمر أنه صراع النساء ضد المجتمع الأبوي الذكوري ونظمه التمييزية، إذ إن كلا من المفاهيم والروح الأبوية الذكورية التي تأسست علي مدار آلاف السنين منذ سقط المجتمع الأمومي ونشأ المجتمع الطبقي وتميز ضد النساء هي روح متغلغلة بقوة في أوساط رجال ونساء علي حد سواء، فالذكورية والأبوية هي عقلية الوصاية والتسلط، وهي وثيقة الصلة بكل أشكال الاستبداد والدكتاتورية أيا كانت الراية التي تقف تحتها.

والتعتيم علي الصراع الاجتماعي بشقيه الطبقي والجنساني يزيح الأسس الموضوعية للصراع بين البشر حول السلطة والثروة، وقد كان الصراع حول السلطة والثروة علي امتداد التاريخ الإنساني هو الأساس الأول الذي قامت عليه الثقافة باعتبارها منظومة من القيم والأفكار والتصورات والرؤى والأخلاق والفن وأنماط العيش والتي بقيت دائما علي صلة وثيقة بالحضارة التي هي الإنجاز المادي المتحول للبشرية والذي يتطور عند كل اكتشاف كبير جديد وتتغير معه الثقافة وإن ببطء.

فمن المعروف علميا ومن دراسات تاريخ الأفكار والقيم والرؤى البشرية والديانات والفلسفات أن الثقافة تعيش طويلا بعد زوال الأساس الحضاري أو المادي الذي تأسست عليه ولكن هذه الحقيقة لا تنفي القاعدة التي اختبرتها البشرية عبر مسيرتها الطويلة والتي تقول لها إن كل شيء يتغير وأنه لا شيء ثابت غير قانون التغير ذاته.

ولأن السلطة القائمة في مصر هي ذات طابع طفيلي وريعي شعارها المخفي هو اللي (تكسبه العبه) كما يقول المثل، وللكسب طرق كثيرة.. بعضها غير مشروع.. بل أغلبها في حالة النهب الشائعة في مصر الآن.

والإبقاء على العالم القديم بأفكاره ورؤاه هو آلية من آليات إخضاع الشعب ودوام السلطة للنظام الحاكم.

فلو أن الحكم يريد حقا أن يغير المفاهيم والأفكار حول وضع المرأة – علي سبيل المثال – لاستخدام الأدوات التربوية التي يملكها وعلى رأسها مناهج التعليم وبرامج الإعلام الحكومي وتوجهات المؤسسات الدينية التي يتحكم النظام فيها، وقوانين الأسرة التي يملك الأغلبية الكافية لتنقيتها من كل ما يميز ضد النساء، وبذلك يمكن أن يساعد في بناء علاقات جديدة داخل الأسرة تقوم على العدالة والمساواة والاحترام، بدلا من مفاهيم التسلط والطاعة والتفسير البالي للقوامة. باختصار هناك أدوات جبارة يملكها الحكم يمكنه أن يغير بها الثقافة في اتجاه الأهداف التي يتشدق بها ويمارس ما هو على العكس منها تماما، ولذا تنتقل مهمة التغيير الثقافي الشامل إلى القوى الديمقراطية التي تتطلع لمستقبل ولكن أدواتها ما تزال ضعيفة وقاصرة.. إنها السياسة إذن وليست الثقافة.. يا.

غياب الرئيس.. وتراجع الدور المصري

حسين عبد الرازق

غاب الرئيس حسني مبارك عن القمة السنوية للاتحاد الإفريقي (٥٣ دولة) التي بدأت في العاصمة الأثيوبية (أديس أبابا)، وهي قمة مهمة لمصر بكل المقاييس، فالاتحاد يضم دول حوض نهر النيل، ودول الشمال الإفريقي العربية، وكل دول القارة التي تحتل مصر بوابتها الشمالية الشرقية.

يكفي قراءة سريعة لجدول أعمال القمة الرابعة عشرة والمشاكل والقضايا المطروحة عليها لندرك أهمية هذه الدورة.. البند الأول في جدول الأعمال يتناول كيفية تحويل الشعار الذي أقرته القمة الاستثنائية التي عقدت في ليبيا العام الماضي وهو (٢٠١٠ عام السلام والأمن في إفريقيا) إلي واقع في ظل الحروب والنزاعات المسلحة التي تنتشر في القارة، بدءا بخلافات الجنوب والشمال في السودان والنزاع المسلح في دارفور، والخلافات السياسية في مدغشقر، وصولا إلي مشكلة الصحراء الغربية، (والتي مازالت السبب في غياب دولة إفريقية رئيسية هي المغرب عن كل أشكال العمل الجماعي الإفريقي منذ ثلاثين عاما تقريبا).

وتناقش القمة أيضا، القرصنة في القرن الإفريقي، مكافحة الفساد، إيجاد حلول لوضع ١٧ مليون لاجئ إفريقي، قضية إنشاء عملة إفريقية موحدة، دعم حرية واستقلال الصحافة، التمكن من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.. (فالثورة المعلوماتية والإعلامية تغير وجه العالم، وإذ لم تلحق القارة الإفريقية بالركب العالمي فستبقى متأخرة إلي الأبد).

ولا يقلل من أهمية الاتحاد الإفريقي وقممه السنوية المشاكل التي يعانيها الاتحاد، والتي لخصها (أحمد كامل) في ال (بي. بي. سي) العربية في عدم تنفيذ ما يتفق عليه قادتها، ٢٦٤ قرارا اتخذها رؤساء الدول منذ نشوء منظمة الوحدة الإفريقية (الاتحاد الإفريقي الآن) قبل ما يقرب من نصف قرن لم تنفذ كليا أو جزئيا، و١٤ من بين ٣٥ معاهدة مبرمة بين الدول الأعضاء لم تدخل حيز التنفيذ من بينها المعاهدات التي تتعلق بأكبر المشاريع طموحا كإنشاء محكمة عدل ومجلس للأمن وبرلمان ومجموعة اقتصادية إفريقية، ولم يصادق على البروتوكول الإفريقي للديمقراطية والانتخابات والحكم الرشيد الذي وافقت عليه ٢٩ دولة، سوي ثلاث دول هي أثيوبيا وموريتانيا وسيراليون.. وبسبب الأزمة الاقتصادية العالمية لم تتم المصادقة على مشروع طموح لرصد ٣,١ مليار دولار لتمويل برامج المفوضية الإفريقية لتحسين البنى التحتية في الدول الإفريقية، عبر فرض رسوم محلية علي أنشطة وصكوك معينة كوثائق التأمين، كما تواجه فكرة إنشاء مصرف إفريقي للاستثمار رأسماله ٣٠٠ مليون دولار صعوبات جمة، أهمها اقتصار التمويل علي ذات الدول التي تساهم بثلاثة أرباع الموازنة الإفريقية وهي الجزائر وليبيا ونيجيريا وجنوب إفريقيا ومصر.

وغياب الرئيس مبارك عن القمة الحالية ليس استثناء كما قد يتصور البعض، بل لعله الأصل، فقد غاب الرئيس عن القمم الإفريقية عشر سنوات متصلة بعد جريمة محاولة اغتياله في أديس أبابا عام ١٩٩٥، وبعد أن شارك في القمم الإفريقية من عام ٢٠٠٥ وحتي عام ٢٠٠٨ في (شرم الشيخ) عاد للغياب عن القمة اعتبارا من عام ٢٠٠٩ (!).

اللافت للنظر أيضا هو غياب الرئيس مبارك عن القمتين العربيتين الأخيرتين في دمشق (٢٠٠٨) والدوحة (٢٠٠٩)، فقد غاب مبارك ووزير خارجيته أحمد أبوالغيط عن قمة دمشق ومثل مصر فيها د. مفيد شهاب، رغم أهمية القضايا المطروحة عليها، مثل قضية العلاقات العربية – العربية بما في ذلك الخلافات بين الدول العربية وآليات تفعيل العمل العربي المشترك وضوابط منع تدهور العلاقات العربية – العربية، والأزمة اللبنانية، والوضع الفلسطيني والعراقي.. إلخ، وتكرر الغياب في قمة الدوحة (!).

وغياب الرئاسة المصرية عن القمم الإفريقية والعربية يعني تراجع الدور المصري العربي والإقليمي والدولي، فالرئيس في مصر – مثل أغلب الدول العربية والإفريقية – هو صاحب القرار السياسي والتنفيذي والتشريعي الوحيد في البلاد، والحكومة في مصر ورئيسها لا علاقة لهما بالسياسة الخارجية وقضايا الأمن القومي، فهي حكر للرئيس والمؤسسات التابعة لرئاسة الجمهورية، واستمرار هذا الغياب يعني استمرار تراجع دور مصر الإقليمي والدولي بكل آثاره السلبية على المصالح المصرية، وهو أمر يجب أن ترفضه الأحزاب والقوى السياسية الوطنية في مصر وتتصدى له بكل قوة.

آراء وأفكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة .
٢. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:
٣. لا تزيد المادة على ٧٠٠ كلمة.

ideas@almadapaper.net